الإسلام في الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

— ١ —

فتح المسلمون إيران وامتد بهم الفتح إلى كابل سنة أربع وأربعين من الهجرة ثم هبطوا أقليم الملتان ؛ ولكنهم لم يستقروا به .

وكذلك حاول العرب فتح الهند من الجنوب من حيث ينصب نهر السند في البحر فغزوا غزوات حتى أعدوا للفتح عدته في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فسيّر الحجاج الثقفي جيشاً يقوده ابن أخيه محمد بن القاسم ففتح إقليم السند إلى الملتان ؛ ولم يتوغل الفتح العربي في الهند حينئذ ؛ ولكن استقر للعرب سلطان هناك زهاء قرنين وبنو المدن وعمروا الأرض .

— ٢ —

وفي القرن الرابع الهجري عزم السلطان محمود بن سبكتكين ثاني ملوك الدولة الغزنوية على فتح الهند فأعد لفتحها واحتفل وحشد واجتاز الجبال إلى سهول الهند أكثر من خمس عشرة مرة ما بين سنة ٣٩١ و٤١٧ ففتح پنجاب وكشمير وكُجَرات . وبقيت پنجاب في سلطان الدولة الغزنوية حتى غلب الغوريون الغزنويين على غزنة دار الملك فاتخذوا لاهور حاضرة ملكهم سنة ٥٥٣ . فصار في الهند حاضرة دولة إسلامية لأول مرة في تاريخها ، وقد مهد فتح الغزنويين وسيطرتهم في الهند لفتوح الدولة الغورية ودول إسلامية أخرى نشأت في الهند أعظمها دولة سلاطين دهلي (من ٦٠٣ إلى ٩٦٢ هـ) وهي أول دولة إسلامية نشأت في داخل الهند .

وقد فتحت هذه الدول شمالي الهند وبسطت سلطان الإسلام شرقاً إلى خليج بنغاله .

— ٣ —

وفي القرن العاشر الهجري توجه إلى فتح الهند داهية عبقريٌّ لا تُنشيء الأجيال أمثاله إلا قليلا : بابرُ بن عمر بن أبي سعيد

حبيبا عقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه الذي قتله المسلمون ، وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الذي قتله المسلمون ببدر وبعث به أمية إلى خارج الحرم ، وترامى الخبر إلى أهل مكة أن صفوان سيقتل زيدا بأبيه فخرجوا ليشهدوا مصرعه ، وكان ممن خرج أبو سفيان فقال لزيد حين قدم ليقتل ، أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي . فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً ثم قتل . وأما خبيب فلما خرجوا ليصلبوه قال لهم إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، ثم قال حين أوثقوه ورفعوه على خشبة : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا . فاضطجع المشركون لجنوبهم حين سمعوا الدعاء ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه ، ثم قتلوه رحمه الله ، وكانت آخر كلمة قالها :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

فإذا كانت محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله ، أكثر من الآباء والأبناء والمال والمساكن يمكن نيلها وقد نالها الرعيل الأول من المسلمين السابقين ، وهي السبيل إلى العزة والكرامة ، فما أحرى الأمم الإسلامية أن تربي أبناءها على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، لتنال ما ناله السابقون من العزة والتمكين في الأرض ، ولتضيف مجدا طارفا إلى مجدها التليد ، ولتنجو من هذا الوعيد الشديد ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين .

محمد عرفة

ابن محمد بن ميرانشاه بن تيمورلنك ، ورث فى سنة ٨٩٩ هـ وسنّه اثنتا عشرة سنة إمارة فى فرغانة وسمرقند ، ولقى الصبي من جور أعمامه ومن غِيَر الدهر ، وتقلب الحدثان ما ذهب بأمارته بعد أن جاهد فيها سبع سنوات ، فبقى ثلاث سنوات شريداً فى جماعة من خلصائه وجنوده . فلما يئس من إمارة أبيه أو كاد ، وجّه همته العالية ، وعزيمته الماضية إلى كابل ففتحها سنة ٩١٠ هـ

ولما تمكن مُلكه فى كابل طمح إلى الأرض الواسعة سعةَ آماله وعزائمه ؛ طمح إلى الهند فأخذ يغزو أطرافها سنة ٩٢٥ ، حتى مكنته سياسته وعزيمته أن يمحو دولة سلاطين دهلى فى موقعة پانيپات الماحقة التى انجلت عن السلطان ابراهيم اللودى قتيلا بين خمسين ألفاً من جنده .

ويوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٣٢ بعد موقعة پانيپات بستة أيام خُطب لمحمد ظهير الدين بابر على منبر دهلى .

وبعد سنتين مزق هذا القائد العبقرىّ جموعاً حشدها أمراء كثيرون من أمراء الهند تألّبوا عليه لدرء خطره : قاد سانجا زعيم أمراء رَجْبوت جيشاً فيه ثمانون ألف فرس وخمسمائة فيل ومائة وعشرون قائداً . فلقيهم بابرُ فى كندها وأدار عليهم من جنده وشجاعته وتدبيره حرباً لا قبل لهم بها فهزمهم هزيمة قاضية سنة ٩٣٤ هـ

وتوفى بابر سنة ٩٣٧ هـ فى التاسعة والأربعين من عمره ، وقد وضع القواعد لدولة استمر سلطانها فى الهند حتى سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨ م) . وهى الدولة التى اتسع سلطانها ، وعمّت سطوتها حتى خضعت الهند كلها لسيطرتها حيناً من الدهر ، وما أعرف دولة فى تاريخ الهند الجاهلى والإسلامىّ جمعت الهند كلها فى سلطانها إلا هذه الدولة .

توالى على عرش هذه الدولة ستة ملوك عظام فى مائتى سنة من بابر إلى محيى الدين أورنك زيب ، وقد عمل هؤلاء الملوك فى سياسة الهند وعمرانها وإصلاحها ما لم يؤثر عن دولة أخرى .

سنّ هؤلاء السلاطين سنناً فى الدولة حسنة ، وسلكوا طرقاً فى الاصلاح مأثورة ، وجمعوا حولهم — ولا سيا جلال الدين أكبر الذى ملك خمسين عاماً — العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء من الهند وأقطار أخرى .

وجمعوا الصناع من شتى البلاد ، وشادوا من الأبنية ما لا يزال قائماً يملأ الرائى عجباً ودهشة ، ويملأ مسلمى الهند فخراً وعزة وجلبوا إلى الهند كثيراً من أنواع الحيوان ، وأشجار الثمار والزينة ، وأحسنوا الحضارة فى كل مناحيها . فكان عهدهم أنضر عصور الهند فيما يعرف التاريخ .

— ٤ —

كانت الدول الاسلامية فى الهند خيراً لها وسعادة . جلبت إليها حضارات مختلفة ، حضارات العرب والفرس والترك وحضارات أخرى أخذتها هذه الأمم عن غيرها .

كانت الدول الاسلامية فى الهند قائمة بعدل الاسلام ، رافعة راية الأخوّة بين البشر والحرية للناس جميعاً بين أمم فيها العابد والمعبود ، والمقدس والمنبوذ ، والطاهر والنجس ، وفيها السيد والعبد ، والعزيز والذليل ، وكانت داعية إلى التوحيد الخالص فى بلاد تزدحم فيها الأوثان والخرافات والأوهام ، وعلمتْ ما علمه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها من علوم وآداب وفنون وصناعات حتى لقد علموا تفصيل الثياب وخياطتها ولم يكن أهل البلاد بها عارفين . لقد عرّفوا الانسان كرامة الانسان ، وحرّروا العقول من الأباطيل ، وطهروا القلوب من الأرجاس ، ونزّهوا البشر عما لا يليق بالبشر ، وسجّلوا على التاريخ مآثر لا يزال يرددها مأثورة مشكورة .

— ٥ —

ولا يزال مسلمو الهند اليوم ، على كرّ العصور ، وتتابع الخطوب ، يؤدون واجبهم لدينهم والناس جميعاً . لا يزالون يجادلون عن أنفسهم ، ويناضلون عن دينهم ، ويدافعون عن حضارتهم ، ويطمحون إلى المقاصد العليا التى يدعوهم إليها دينهم وتاريخهم وحضارتهم .

ولا تزال جماعتهم ، التى تجمعها وتسوّى بينها أخوّة الاسلام ، مفزع كل مظلوم ، وملجأ كل يائس من العدل والحرية والمساواة . فمن لحق بهم ممن لاحق له ، ولا حرية ، ولا كرامة شملته الأخوّة ، وأظلّته الحرية ، وحىّ قلبه ، وكرمت نفسه ، ووجد السبل ممهدة له إلى أبعد الغايات ، والسلّم منصوباً أمامه إلى أعلى المطامح .

وإنا لموقنون أن المسلمين فى الهند ماضون على خطتهم ، سائرون على سنتهم ، حتى يبلغوا المقصد ، ويستولوا على الأمر ، لخيرهم وخير الناس أجمعين .

عبد الوهاب عزام